الدرس الثالث والثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً ، وأصلح لنا شأننا كله ولا تكنا إلى أنفسنا طرفة عين . أما بعد :

قال الإمام الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى في كتابه المعنون بـ«عمدة الأحكام» :

كِتَابُ الْجَنَائِزِ

١٦١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَعَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ؛ خَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا» .

قال المصنف الإمام المقدسي رحمه الله تعالى : ((كِتَابُ الْجَنَائِزِ)) ؛ هذا الكتاب وهو يتعلق بالميت من غسلٍ وتكفينٍ وتجهيزٍ وصلاةٍ وغير ذلك عادةً يُذكر في كتب الأحكام في هذا الموضوع في آخر أبواب الصلاة ؛ لأن أهم الأعمال التي يقام بها تجاه الميت الصلاة عليه . والصلاة على الميت دعاءٌ له وشفاعةٌ له عند الله سبحانه وتعالى ، ويكون بين يدي هذا الدعاء في صلاتهم حمدٌ وثناءٌ على الله وصلاةٌ وسلامٌ على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم دعاء للميت . وقوله ((كِتَابُ الْجَنَائِزِ)) جمع «جِنَازَة» بكسر الجيم و«جِنَازَة» بفتحها ، والكسر أفصح . وقيل يقال «جِنَازَة» في حق الميت المحمول على النعش ، ويقال «جِنَازَة» بالكسر اسمٌ للنعش الذي يُحمل عليه الميت . وهذه الكلمة «الجنائز» ومفردتها جِنَازَة مأخوذة من جَنَزَ إذا ستر ، ومضارعه يَجْنِزُ ، وسمي الميت بهذا الاسم لأنه يُستر ويغشى بالأكفان ، ولهذا يسمى الميت «جِنَازَة» من الستر وهو التغطية ، والميت يغشى بالأكفان ولهذا تسمى «جِنَازَة» . ويدخل تحت هذا الكتاب ((كِتَابُ الْجَنَائِزِ)) كما أشرت أحكام كثيرة جداً منها : الغسل ، والتكفين ، والتجهيز ، والصلاة عليه ، والدفن ، والأحكام التي تتعلق بالمقابر ، واتباع الجنائز ؛ كل هذه المسائل تُذكر في هذا الكتاب من كتب الأحكام وكتب أحاديث الأحكام .

وأشير إلى فائدة مهمة بين يدي هذا الموضوع : أن هذا الكتاب إضافةً إلى ما فيه من الجوانب العلمية المتعلقة بهذه المسائل التي يجدر بالمسلم أن يتعلمها وأن يتفقه فيها فإن فيه للمتأمل جانب وعظي مهم لا بد من التفطن له ؛ لأن هذه الأحكام التي تقرأها الآن في مجلس علم تتفقه فيها سيأتي يوم لا تدري أقرب هو أم بعيد وتطبّق عليك هذه الأحكام ، فمثلا هذا الثوب الذي تباشر لبسه وخلعه وفك أزراره يأتي يوم يباشر فك أزراره وخلعه الغاسل ، هذا يوم آتٍ ولا بد ولا تدري أهو قريب أم بعيد ، وهذا البدن الذي تباشر تغسيله وتنظيفه وتطيبه سيأتي يوم يباشره غيرك يغسله لك وينظفه ويوضئك ويطيبك ، وهذا البدن الذي تستره بهذه الثياب يأتي يوم يتولى ستره غيرك وهو المغسّل والمجهز لك ، وهذا البدن المتحرك سيأتي يوم يكون لا حركة فيه ويكون جسمًا لا روح فيه وجثة لا حركة فيها ؛ ولهذا يقرأ المسلم هذا الكتاب ويستفيد مما فيه من أحكام وأيضًا يتعظ ويتذكر أنه يوم من الأيام هذه الأحكام التي يقرأها الآن قراءةً علمية وتفقهًا سيأتي يوم وتطبّق عليه ؛ وهذا يتطلّب من المسلم العاقل الناصح لنفسه يتطلب منه استعداد لهذا اليوم وتميؤ لهذا الوقت بصالح العمل وخير الزاد ، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ١٩٧] .

أورد رحمه الله تعالى أول حديث في هذا الكتاب حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((نَعَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ)) ؛ النجاشي : ملك الحبشة ، والمملك يقال له «نجاشي» أيًا كان ، ولهذا قيل إن اسمه أصحمة ، وقيل إن معنى أصحمة أي عطية بلغة الحبشة . فهو ملك الحبشة في ذلك الوقت وأحسن وفادة وإكرام المهاجرين عندما تعرضوا للأذى الشديد من كفار قريش فهاجروا إلى الحبشة فأحسن وفادتهم وإكرامهم ؛ فمنّ الله سبحانه وتعالى عليه بالإسلام وهدها لهذا الدين العظيم فأسلم ومات على الإسلام رضي الله عنه وغفر له ورحمه .

فالنبى عليه الصلاة والسلام نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه ؛ معنى نعاه أي أخبر بموته وأعلن عند أصحابه موته ؛ هذا معنى نعاه . وينبغي أن يُعلم أن نعي الميت نوعان : محرم وجائز :

١ . أما المحرم : فهو ما كان عليه أهل الجاهلية ؛ إذا مات الميت أخذوا ينعون موته بذكر أوصافه والمبالغة في ذلك ، ربما صعد بعضهم على شاهق من جبل أو نحوه وأخذوا يصيحون

بالأصوات العالية "مات فلان الموصوف بكذا الموصوف بكذا الذي يفعل كذا.." إلى آخره ، وربما استأجروا أشخاصا للنعي للميت ممن لهم أصوات جهورية عالية ، ويحصل في نعيهم لموتاهم من الكذب ما لا حدَّ له في ذكر أوصاف للميت وأنه كان وكان وكان ، خاصة المستأجر كلما زادوا له في الأجرة زاد صوته بالكذب وذكر الأوصاف للميت الذي استؤجر لنعيه . هذه كلها أعمال جاهلية ، ويُفعل من صور هذا النعي الجاهلي في هذه الأوقات في بعض البلدان ، ومن ذلك أنه إذا مات الميت يستأجر أهله وقربته سيارة في الغالب سيارات مخصصة لذلك وفيها مكبرات الصوت ويجولون في الشوارع وفي الطرقات وينادون " مات فلان ابن فلان الذي كذا والذي كذا" ويجولون بالسيارات فهذا من نعي الجاهلية ؛ فكل ما كان من هذا القبيل فهو نعي محرم .

٢. أما النعي الثاني والنعي الجائر هو الذي دل عليه هذا الحديث ؛ الإخبار بوفاة الميت ، يخبر مثلا قربته جيرانه وأصدقاءه ورفقائه من أجل أن يشهدوا الصلاة عليه ويشاركوا في دفنه والدعاء له ، هذا جائز ودل عليه هذا الصنيع في هذا الحديث قال : ((نَعَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّجَاشِيَّ)).

ولهذا النهي عن النعي محمول على نعي الجاهلية للموتى على الوصف الذي أشرت إليه ، وأما النعي الذي هو مجرد إخبار عن وفاته لقربته مثلا جيرانه وأصدقاءه ومن له عليهم حق فإن هذا لا بأس به والحديث يدل على ذلك .

وقوله ((فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ)) هذا من آيات النبوة وعلائم النبوة ، لأن النجاشي في الحبشة ، الحبشة بعيدة عن المدينة ولم تكن ثم وسائل اتصالات المتهيأة في مثل هذا الزمان ، ففي اليوم الذي مات فيه أخبرهم عليه الصلاة والسلام بموته فكان هذا من أعلام نبوته وآيات نبوته عليه الصلاة والسلام . وأما في مثل هذا الزمان قد يموت الإنسان في أقصى الدنيا وينتشر خبره عبر الأجهزة وليس بأمرٍ عجيب لأجل هذه الوسائل الحديثة التي يسرها الله سبحانه وتعالى للناس في هذا الزمان .

قال ((خَرَجَ بِهِمْ - أي بالصحابة رضي الله عنهم - إِلَى الْمُصَلَّى)) أي مصلى العيد وهي براح من الأرض متسعة فيجتمع فيها الناس لصلاة العيد وفيها يصلى على الجنازة ، وقيل المصلى: مكان مخصص للصلاة على الجنازة ليس ببعيد عن مسجد النبي عليه الصلاة والسلام .

قال : ((خَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا)) قوله «فَصَفَّ بِهِمْ» دل الحديث الذي بعده أنه لم يصف بهم صفًا واحدًا وإنما صف بهم صفوف ، ولهذا سيأتي في الحديث الذي بعده أن جابر كان في الصف الثاني أو الثالث ؛ ولهذا فإن الصلاة على الجنابة يستحب أن يُجعل صفوف حتى وإن كان العدد قليلا ، وجاء في بعض الأحاديث حسَّنه بعض العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى مرة على جنازة بسبعة الذين صلوا معه؛ فجعل ثلاثة صف واثنان صف واثنان صف ، قسَّم السبعة إلى صفوف ثلاثة . ولهذا يستحب جعل الصفوف التي تصلى على الجنابة أكثر من ثلاثة صفوف ، ثلاثة صفوف فأكثر . وهذا أيضا جاء فيه حديث حسَّنه بعض أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ صُفُوفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا أُوجِبَ)).

وقوله في هذا الحديث ((وَكَبَّرَ أَرْبَعًا)) فيه أن الصلاة على الجنابة فيها أربع تكبيرات :

- بعد الأولى تُقرأ فاتحة الكتاب وما تيسر من القرآن ، تُقرأ الفاتحة وإن اكتفي بها فلا بأس وإن زاد ما تيسر من القرآن فقد ورد ما يدل على ذلك .
- وبعد التكبيرة الثانية يصلى على النبي عليه الصلاة والسلام ، وأفضل ما يكون الصلاة الإبراهيمية التي تقال في التشهد .
- ثم بعد التكبيرة الثالثة يُدعى للميت ، والأولى في الدعاء للميت أن يكون دعاءً عام ودعاءً خاص ؛ العام «اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وذكرنا وأنثانا ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان ، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده» . وخاص مثل ما جاء في الحديث «اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم أبدله دارًا خيرًا من داره وأهلًا خيرًا من أهله...» إلى آخر الدعاء . هذا إن كان واحد ، وإن كان أكثر ، إن كان اثنين يقال «اللهم اغفر لهما» ، وإن كانوا جمع يقال «اللهم اغفر لهم» ، وإن كانت أنثى يقال «اللهم اغفر لها» . فيدعى دعاء عام ويدعى دعاء خاص .
- وبعد التكبيرة الرابعة سكتة لطيفة أيضا دلت عليها السنة ، لا يسلم بعدها مباشرة وإنما يسكت سكتة لطيفة لا يقول فيها شيء ، وبعض العلماء ومنهم النووي رحمه الله تعالى

كما في كتابه «الأذكار» أشار إلى أنه يقال فيها «اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده» وأورد ما استدل به على ذلك . فمن اهل العلم من قال سكتة لطيفة لا يقال فيها شيء ، ومن أهل العلم من قال إنها سكتة يقال فيها «اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده» . ويستفاد من هذا الحديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه مشروعية الصلاة على الميت الغائب ؛ وهذه المسألة لأهل العلم فيها خلاف :

□ منهم من قال إنها لا تشرع هذه الصلاة مطلقاً ، وحملوا هذا الحديث في قصة النجاشي على الخصوصية وأنه أمر خاص .

□ ومن أهل العلم من قال إنها تشرع مطلقاً ، وأيضاً استدلوا بهذا الحديث .

□ ومن أهل العلم من فصل ، والتفصيل هو الأولى هو الأصح ، ومن فصل له في التفصيل منحيان :

● منهم من قال : لا يُصلى على كل غائب وإنما يصلى على الغائب الذي يُعلم أنه لم يصلى عليه كما هي الحال في النجاشي مات في الحبشة وعلم النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يصل عليه فدعا الصحابة فصلوا عليه ، فبعض أهل العلم حملوها على مثل هذه الحالة .

● ومن أهل العلم من لحظ ملحظاً آخر وهو الأولى ؛ أن في هذا مراعاة لمكانته ، فالنبي صلى الله عليه وسلم صلى عليه مراعاة لمكانته لأنه ملك صالح قام بجهود عظيمة في نصرته الصحابة المهاجرين وحمائتهم والذب عنهم ، فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم لأجل ذلك قالوا صلى عليه النبي عليه الصلاة والسلام لأجل ذلك ، فأخذ العلماء من هذا : أن من كان بهذه الحالة يصلى عليه صلاة الغائب حتى وإن صلي عليه ، مثل العالم الذي له جهود عظيمة في الأمة ونفع كبير في الأمة ونفع متعدي ، أو الملك الصالح الذي له جهود في نفع الناس والقيام فيهم بالعدل والإحسان للرعية وما إلى ذلك فإنه يصلى عليه صلاة الغائب حتى وإن صلي عليه صلاة الحاضر .

وهذا التفصيل هو الأولى ، ودليله هذا الحديث صلاة النبي صلى الله عليه وسلم على النجاشي .

قال رحمه الله تعالى :

١٦٢ - وَعَنْ جَابِرٍ «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَى النَّجَاشِيِّ ، فَكُنْتُ فِي الصَّفِّ الثَّانِي أَوْ الثَّلَاثِ» .

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث حديث جابر رضي الله عنه في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم على النجاشي قال : ((فَكُنْتُ فِي الصَّفِّ الثَّانِي أَوْ الثَّلَاثِ)) ؛ وهذا فيه أنهم لم يكونوا صفًا واحدا وإنما صلّوا في صفوف ، وجابر أخبر عن نفسه أنه كان في الصف الثاني أو الثالث . فيستفاد من هذا الحديث مشروعية اتخاذ الصفوف أو جعل الصفوف في الصلاة على الميت ، حتى وإن قلَّ عدد المصلين يُحرص على أن يُجعلوا صفوف ، ثلاثة صفوف فأكثر بحيث لا تقل عن ثلاثة صفوف ، وأشارت إلى ورود حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل تكثير الصفوف ثلاثة فأكثر في الصلاة على الميت .

ومما ينبغي أن يُعلم أن هذه الصلاة على الميت هي في الحقيقة شفاعة له من هؤلاء المصلين عند الله بأن يغفر له وأن يرحمه ، ومقصود هذه الصلاة هو الدعاء له ، هذا هو المقصود ، والدعاء شفاعة له عند الله سبحانه وتعالى ، وشرع بين يدي هذه الشفاعة وهذا الدعاء حمد الله بقراءة الفاتحة والثناء عليه ، والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام وهذا بعد التكبيرة الثانية وهذه من أسباب قبول الشفاعة ومن أسباب قبول الدعاء .

قال رحمه الله تعالى :

١٦٣ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَى قَبْرِ بَعْدَ مَا دُفِنَ ، فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا .

قال : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَى قَبْرِ بَعْدَ مَا دُفِنَ))؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام لم يتمكن من الصلاة عليه إذ لم يُخبر بموته إلا بعد أن دُفن فذهب عليه الصلاة والسلام وصلى عليه في القبر ؛ فأخذ من هذا الحديث فائدة : أن من لم يتمكن من الصلاة على الجنازة مع الناس في المصلى أو في المسجد فله أن يصلي عليها وهو في قبره ؛ فيجعل الميت تجاه القبلة كما هو الشأن في الصلاة عليه ويكبر أربعا

؛ يقرأ في الأولى الفاتحة وفي الثانية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفي الثالثة يدعو له وبعد الرابعة يسكت سكتة يسيرة ثم يسلم .

وعدد من أهل العلم حددوا هذه المشروعية للصلاة عليه في قبره في حدود شهر وأنه لا يُزاد على ذلك . ومن أهل العلم من أطلق في المدة إلى شهر أو حدود شهر يصلي عليه ، من فاته الصلاة عليه ولم يتمكن من قريب أو صديق أو محب أو نحو ذلك وفاته الصلاة عليه إما كان غائبًا أو مسافرًا أو لم يتمكن من الوصول فله أن يذهب إلى قبره وأن يصلي عليه . وسواء صلى عليه وحده أو كانوا جماعة لم يتمكنوا من الصلاة عليه فصلّوا عليه جماعةً أيضا لا بأس بذلك .

قال ((صَلَّى عَلَى قَبْرِ بَعْدَ مَا دُفِنَ)) ؛ وهنا أشير إلى أن الدفن للميت هو تكربة للميت وإكرام للميت وإحسان إليه ، وقد قال الله سبحانه وتعالى إشارة إلى هذه التكرمة قال ﴿ ثُمَّ

أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ [عبس: ٢١] وهذه كرامة للميت ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِهَاتَا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾ [المرسلات: ٢٥-

٢٦] الأرض كفاتًا للناس ؛ وهم أحياء في الدور والقصور والأبنية والمسكن ، وأمواتًا في القبور . فدفن الميت هذا فيه تكربة له ، وإذا أردت أن تستشعر هذه التكرمة فتصور حال الميت لو لم يكن هناك دفن ، ماذا تكون حاله إذا صار ملقى في العراء؟ كيف أنه يتجيف وينتن وربما تأكله السباع وربما يتأذى الناس من نتن الرائحة .. هذه تكربة للميت كرامة للميت ؛ يغسل وينظف ويطيب ويهيئ ويُدْرَج في القبر على هذه الحال ويهال عليه التراب هذه تكربة له وإكرام وإحسان للميت .

بهذه المناسبة أذكر قصة طريفة ومفيدة ذكرها لي أحد الأفاضل يقول : توفيت جدته ، والجدات لهن مكانة في البيوت خاصة عند الأطفال ، يقول فكان معي ولدي الصغير لما توفيت وصلينا عليها ثم أخذناها إلى المقبرة وأنزلناها في اللحد وبُني عليها ثم دفنا ، يقول لما دفنا التراب عليها هال ابني هذا المنظر؛ جدته يدفن عليها في التراب ويهال عليها التراب !! يقول فالتفت عليّ الابن الصغير يقول عمره خمس سنوات التفت عليّ وسألني قال لماذا جدتي هكذا أهيل عليها التراب؟ يقول لي محدثي فأخذت أفكر سريعًا في جواب يناسب مع مستوى هذا الصغير ، يقول وأنا أفكر أهيبئ لنفسي جوابًا مناسبًا رفع ولدي رأسه وقال لي : "أو الله قال هذا؟" قلت الله قاله .

فهذه تكرمه من الله ، هذا الله أمر به وشرعه ، وهذا الطفل بفطرته يعرف أن هذه تكرمه لما سأل "أو الله قاله؟" قلت الله قاله ، انتهى خلاص هذه تكرمه للميت وإحسان إليه بهذا الدفن. والصلاة على الميت فيها مصلحة للميت ومصلحة للحي ؛ فيها مصلحة للميت لأنها كما قدّمت شفاعته له عند الله بأن يُغفر له وأن يُرحم وأن يُدخل الجنة وأن يُتجاوز عن سيئاته هذه فيها مصلحة للميت . وفيها مصلحة للحي لأنها باب عظيم من أبواب الأجر والثواب ، وكما جاء في الحديث ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ جَنَازَةً فَلَهُ قِيرَاطٌ)) ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن القيراط مثل الجبل ، فهذا ثواب عظيم يحصّله من يوفق للصلاة على الميت ، فهذه الصلاة هي مصلحة للميت ومصلحة للحي .

وقوله ((فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا)) فيه أن التكبيرات على الجنازة أربع تكبيرات أي لا تقل عن ذلك ، وأما الزيادة فقد جاءت في بعض الأحاديث عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

قال رحمه الله تعالى :

١٦٤ - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ يَمَانِيَّةٍ بَيْضٍ ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ» .

ثم أورد رحمه الله تعالى حديث أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ يَمَانِيَّةٍ بَيْضٍ ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ)) ؛ هذه صفة الكفن الذي كان للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام والتكفين الذي كان للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام . وهذه الصفة التي ذُكرت في هذا الحديث هي أتم صفة وأكمل صفة في التكفين للميت ، لأن الله سبحانه وتعالى اختار لنبيه أتم صفة وهي الصفة التي وَفَّقَ اللَّهُ سبحانه وتعالى أصحابه الكرام للقيام بها ، فهذه الصفة في الكفن هي أفضل صفة يكفَّن فيها الميت . ويتحقق الكفن ولو بثوبٍ واحد يستر الميت ويلف بدنه كاملاً ويستر بدنه كاملاً يتحقق المقصود ، لكن أكمل صفة أن تكون بهذه الصفة التي جاءت في هذا الحديث ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ)) ؛ ومعنى أثواب : أي لفائف ، يعني قطع من القماش مستطيلة ويُجعل الميت في وسطها ثم تطوى عليه تلف عليه ، فثلاثة أثواب : أي ثلاثة

لفائف ، ثلاث قطع طويلة من القماش مستطيلة وعرضها أيضاً يكون واسع بحيث يكفي أن يلف به الميت ، فيجعل الميت في وسط هذه الثلاث اللفائف وهي تُجعل بعضها فوق بعض ويجعل فوقها الميت ، ثم يؤتى بطرف الأولى ويجعل على الميت ثم الطرف الآخر وهكذا حتى يلف بهذه اللفائف الثلاث ، بدون قميص ولا عمامة وإنما مجرد لفائف يلف فيها الميت ، ثم تعقد أطرافها من جهة القدمين ومن جهة الرأس تعقد أطرافها وأيضاً من الوسط ، وهذه العقد تُشد وتُعقد من أجل أن لا ينكشف أثناء حمله وأثناء نقله وأثناء الصلاة عليه تبقى حافظة لهذه اللفائف ملفوفة على هيئتها ؛ فإذا أدرج في القبر فُكت هذه العقد وأرخت وفكت هذه العقد وتبقى مع الميت في لحده .

قال : ((كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ يَمَانِيَّةٍ)) وجاء في بعض ألفاظ الحديث «سَحْوَلِيَّةٌ» وهي منطقة في اليمن كانت يُصنع فيها هذا القماش من القطن ، وجاء أيضاً في بعض ألفاظ الحديث «من كُرْسُفٍ» وهو القطن .

قال : ((ثَلَاثَةُ أَثْوَابٍ يَمَانِيَّةٍ بِيضٍ)) وأيضاً هذا اللون هو الذي ينبغي أن يستعمل في كفن الأموات من الذكور والإناث ، يكون من القماش الذي من هذا اللون الأبيض .
((لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ)) يعني لا يُجعل في كفن الرجل الميت لا قميص ولا عمامة وإنما أثواب لفائف يلف فيها الميت ثم يدرج في قبره .

وهذا العمل الذي هو التكفين والتغسيل والتجهيز للميت والتهيئة له هذا من فروض الكفاية ، والفرق بين فرض الكفاية وفرض العين : أن فرض الكفاية هو الذي يطلب الشارع إيجاداً فقط ، وأما فرض العين فهو الذي يطلب الشارع إيجاداً من كل مكلف . فرض الكفاية هو الذي يطلب الشارع إيجاداً فإذا وُجد بمعنى أنه قام به البعض حصل الواجب ، فإذا لم يتم البعض به أتم كل من كان على علم بهذا وعلى قدرة بالقيام به أتموا جميعاً ، فإذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقيين ، فإن لم يتم به البعض أتم كل من كان عنده علم وقدرة على القيام بهذا الأمر .

قال رحمه الله تعالى:

١٦٥ - عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ قَالَتْ: « دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ تُوفِّيَتْ ابْنَتُهُ فَقَالَ: ((اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتَ ذَلِكَ بِمَاءٍ

وَسِدْرٍ ، وَاجْعَلْنَ فِي الْآخِرَةِ كَافُورًا أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ ، فَإِذَا فَرَعْتُنَّ فَادْنِيْنِي)) ، فَلَمَّا فَرَعْنَا
آذَانَهُ فَأَعْطَانَا حَقْوَهُ فَقَالَ: ((أَشْعِرْنَهَا بِهِ)) تَعْنِي إِزَارَهُ . وَفِي رِوَايَةٍ «أَوْ سَبْعًا» وَقَالَ:
((أَبْدَأَنَّ بِمِيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا)) ، وَأَنَّ أُمَّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: «وَجَعَلْنَا رَأْسَهَا ثَلَاثَةَ
قُرُونٍ».

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث حديث أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رضي الله عنها قالت: ((دَخَلَ
عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ تُوفِّيَتْ ابْنَتُهُ)) وهي زينب على الصحيح ،
توفيت ابنته أي زينب .

فَقَالَ: ((اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ)) وهذا فيه أن السنة في
غسل الميت أن يُقَطَعَ الغسل على وتر ، والله وتر يحب الوتر ، فقال ((اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا)) لم يقل
أو أربعًا وإنما انتقل من بعد الثلاث إلى الخمس ؛ فهذا فيه استحباب أن غسل الميت يكون وترًا
؛ ثلاثًا أو خمسًا أو سبْعًا بحسب الحاجة ، إن كانت الثلاث كفت وأدت الغرض يقتصر عليها
ولهذا بدأ بالثلاث قال ((اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا)) ، فإن لم يكن في الثلاث كفاية ورأى الغاسل أو رأت
الغاسلة أن الميت أو الميتة بحاجة إلى المزيد يُزَادُ إلى خمس ، فإن رأوا أنه بحاجة إلى زيادة إلى
سبع .

ومن أهل العلم من قال لا يزداد على السبع وقال إن الزيادة على السبع نوع إسراف لا يزداد على
السبع ، ومن أهل العلم من قال إن هذا بحسب الحاجة ، والغالب أن سبع غسلات بإذن الله
سبحانه وتعالى يكون فيها الكفاية . وأيضًا ذكروا أن الإسراف في الغسل وتكثير الماء أن هذا
يرخي بدن الميت ولا مصلحة فيه ، فالأولى أنه يقتصر على ثلاث فإن رُؤيت حاجة زيد إلى
خمس ، وإن رأيت الحاجة زيد على سبع .

قال : ((اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا)) ؛ «اغْسِلْنَهَا» هذا فيه أن المرأة إنما يغسلها المرأة والرجل أيضًا إنما
يغسله الرجل ، ولا يستثنى من ذلك إلا الزوج والسيد ، فالزوج له أن يغسل أو يغسِّل زوجته
والعكس كذلك ، وأيضًا السيد له أن يغسل أمته والعكس كذلك .

قال : ((اغسلنَّها ثلاثاً أو حمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتنَّ ذلك)) ؛ قوله «إن رأيتنَّ ذلك» تنبيه إلى مراعاة الحاجة إن كان هناك حاجة ، أما إن لم يكن هناك حاجة فإنه يقتصر على الثلاث أو الخمس .

قال : ((بماءٍ وسِدْرٍ)) السدر: الشجر المعروف شجر النبق ثمره النبق ، وهو جيد في التنظيف كانوا يستعملونه في التنظيف فهو جيد في ذلك ، وهو أولى ما يستعمل في غسل الميت وتنظيفه السدر يعني يدق بعد أن يجفف ثم يستعمل في غسل الميت ، وإذا أخذ بعد أن يدق ووضع في الماء يكون له رغوّة ، الرغوّة التي في أعلى الماء الأولى أن تؤخذ وتستعمل في غسل الشعر -شعر الميت- حتى لا يعلق من حنّال السدر شيئاً في الشعر ويصعب إخراجه ، ويكون الباقي يستعمل في غسل بقية البدن لأنه إذا رش عليه بالماء زال عن البدن . وإن لم يتيسر السدر فالمنظفات الأخرى مثل الأسنان أو الصابون أو نحو ذلك لا بأس من استخدام مثل هذه الأشياء في غسل بدن الميت وتنظيفه .

قال : ((واجعلنَّ في الآخرة -أي الغسلة الآخرة- كافوراً)) والكافور: نوع من الطيب ويجعل في الآخرة لأنه لو جعل في الأولى وغُسل أذهب الماء بالغسل ، فيجعل في الآخرة حتى يبقى على الميت . وقالوا إن الكافور وهو كما أشرت نوع من الطيب فيه فوائد منها : أنه يصلب البدن ، وأيضاً يطيب البدن ، وأيضاً يطرد الهوام من الحشرات أو أشياء من هذا القبيل يطردها ، ففيه هذه الفوائد . وكل ما تقرأه من هذه المعاني العظيمة كلها تكرمة للميت وإحسان عظيم إليه .

قال : ((فإذا فرغتنَّ فأذنيني)) أي إذا فرغتن من هذا العمل الذي هو الغسل والتطيب ، إذا فرغتن من ذلك فأذنيني أي أعلمني أخبرني .

((فلما فرغنا آذناه)) أي أخبرناه أننا فرغنا من هذا العمل .

((فأعطانا حقوه)) ؛ والحقو: هو الإزار . قالت «تعني إزاره» ، وسمي الإزار حقواً لأنه يشد في موضع الحقو من الإنسان .

قالت ((فأعطانا حقوه عليه الصلاة والسلام فقال: أشعرنَّها به)) معنى «أشعرنَّها به» أي اجعلنه مما يلي جسدها ، أول شيء تلف به هو ، معنى «أشعرنَّها» لأن الشعار من اللباس ما

يلي الجسد . واللباس شعائرٌ ودثارٌ ؛ والشعار من اللباس : ما يلي الجسد ، وما كان فوقه يسمى دثار .

فقوله ((أَشْعِرْنَهَا بِهِ)) أي اجعلنه هو الشيء الملاصق والملامس لجسدها مما يلي الجسد ؛ هذا معنى ((أَشْعِرْنَهَا بِهِ)) . وهذا فيه تبرك بما لامس جسده وهو أمرٌ خاص به عليه الصلاة والسلام لا يعدى إلى غيره صلوات الله وسلامه عليه ، لما جعل الله سبحانه وتعالى في جسده الشريف صلوات الله وسلامه عليه من خصوصية وبركة .

قال : **وَفِي رِوَايَةٍ «أَوْ سَبْعًا»** ؛ يعني اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو سبعمًا ، وهل يزداد على السبع أو لا يزداد ؟ أشرت لأهل العلم في ذلك قولان .

وَقَالَ : ((ابْدَأَنَّ بِمِيَامِنِهَا)) ؛ الميامن : جمع ميمنة وهي اليمين ((ابْدَأَنَّ بِمِيَامِنِهَا)) أي بالجانب الأيمن .

((وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا)) فلاحظ الآن مراعاة أمرين في البدن :

١ . الميامن قبل المياسر .

٢ . وأيضاً مواضع الوضوء .

فبيدأ بالميامن لشرفها ، ويبدأ أيضاً بمواضع الوضوء لشرفها ؛ فعند غسل الميت يغسل الجانب الأيمن قبل الأيسر وأيضاً يبدأ بمواضع الوضوء يوضأ مثل وضوء المرء للصلاة . وأعيد الاتعاض والاعتبار الذي يستفاد من ذلك ؛ إذا كان المرء يقرأ هذا علماً فهذا الوضوء الذي تصنعه والغسل الذي تغتسله وتباشره أنت نفسك يأتي عليك يوم تُوضأ وأنت لا تشعر ولا تدري وتغسّل ولا تدري ولا تشعر ، يأتي عليك يوم يُصنع بك هذا الأمر ؛ فهذا باب عظيم جداً من أبواب الإدِّكار والاعتبار .

قال : ((وَأَنَّ أُمَّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: وَجَعَلْنَا رَأْسَهَا ثَلَاثَةَ قُرُونٍ))؛ معنى «ثَلَاثَةَ قُرُونٍ» أي ثلاثة ضفائر ، الجانب الأيمن ضفيرة ، والجانب الأيسر ضفيرة ، والمؤخرة ضفيرة ، وتُجعل هذه القرون الثلاثة من ورائها تُجمع ورائها وتُجعل على هذه الهيئة .

مر معنا أن الرجل يكفن وهو أولى ما يكون بثلاثة أثواب ، وأما المرأة فكما أفاد هذا الحديث وأيضاً غيره من النصوص في هذا الباب المرأة تكفن بخمسة : إزار ، وخمار ، وقميص ، ولفافتين . فالمرأة تكفن بخمسة أثواب ، والرجل يكفن بثلاثة أثواب .

قال رحمه الله تعالى :

١٦٦ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ وَاقِفٌ بِعِرْفَةٍ إِذْ وَقَعَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَوَقَصَتْهُ - أَوْ قَالَ: فَأَوْقَصَتْهُ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ ، وَكَفَّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ ، وَلَا تُحْنَطُوهُ وَلَا تُحْمَرُوا رَأْسَهُ؛ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّبًا)) .
وَفِي رِوَايَةٍ: ((وَلَا تُحْمَرُوا وَجْهَهُ وَلَا رَأْسَهُ)) .

الْوَقْصُ: كَسْرُ الْعُنُقِ.

قال رحمه الله تعالى : وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: ((بَيْنَمَا رَجُلٌ وَاقِفٌ بِعِرْفَةٍ إِذْ وَقَعَ عَنْ رَاحِلَتِهِ)) ؛ وَقَعَ: أَي سَقَطَ . رَاحِلَتِهِ: أَي دَابَّتُهُ النَّاقَةُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا .
((إِذْ وَقَعَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَوَقَصَتْهُ ، أَوْ قَالَ: فَأَوْقَصَتْهُ)) شك من الراوي ، وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى أن المعروف في اللغة «وَقَصَّتْهُ» بدون الهمز .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ)) ؛ لَاحِظْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لَمْ يَأْمُرْ بِالتَّكْرَارِ ، فِي حَدِيثِ أُمِّ عَطِيَّةٍ قَالَ ((اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا أَوْ حَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ)) وَهَذَا قَالَ ((اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ)) وَلَمْ يَقُلْ ثَلَاثًا ، لَمْ يَأْمُرْ بِالتَّكْرَارِ ؛ فَأَخَذَ مِنْ ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْغَسْلَةَ الْوَاحِدَةَ تَكْفِي ، وَالتَّكْرَارُ أَفْضَلُ كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ أُمِّ عَطِيَّةٍ وَيَزَادُ فِي التَّكْرَارِ وَتَرًا بِحَسَبِ الْحَاجَةِ .

قوله ((اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ)) مضى ما يتعلق بغسل الميت بالماء والسدر في حديث أم عطية .
قال : ((وَكَفَّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ)) ؛ وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحِينَ «فِي ثَوْبَيْهِ» ، وَمَعْرُوفٌ أَنَّ الْمُحْرَمَ ثَوْبَاهُ هُمَا الْإِزَارُ وَالرِّدَاءُ ، فَقَالَ ((وَكَفَّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ)) وَفِي رِوَايَةٍ «فِي ثَوْبَيْهِ» ، وَيَسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ قَوْلُهُ «فِي ثَوْبَيْهِ» أَنَّهُ يَأْخُذُ مِنْهَا وَجُوبَ الْكَفْنِ فِي مَالِ الْمَيِّتِ وَأَنَّهُ مُقَدَّمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، لِأَنَّ مَالِ الْمَيِّتِ تَتَعَلَّقُ بِهِ عِدَّةُ حَقُوقٍ مِنْهَا : كَفَنُهُ وَتَجْهِيْزُهُ ، وَمِنْهَا الدِّيُونُ الَّتِي عَلَيْهِ ، وَمِنْهَا الْوَصِيَّةُ فِي الثَّلَاثِ فَمَا دُونَ ، وَمِنْهَا الْمِيرَاثُ الَّذِي يَقْسَمُ بَيْنَ الْوَرَثَةِ ؛ فَهَذِهِ الْحَقُوقُ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْمَيِّتِ أَوْلَاهَا وَأَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ هُوَ خَاصَّةٌ مِنْ حَيْثُ التَّكْفِينِ وَالتَّجْهِيْزِ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

قال ((وَكَفَّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ)) أو «فِي ثَوْبَيْهِ» ((وَلَا تُحْنَطُوهُ)) يعني لا تضعوا له الحنوط ، والحنوط : نوع من الطيب ، والحرم يحرم عليه الطيب حيًّا وميتًا ، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تحنيطه أن يوضع له الحنوط وهو نوع من الطيب .

قال ((وَلَا تُحْمَرُوا رَأْسَهُ)) وَفِي رِوَايَةٍ: ((وَلَا تُحْمَرُوا وَجْهَهُ وَلَا رَأْسَهُ)) ؛ وهذا فيه أن المحرم أيضا لا يغطي رأسه حيًّا ولا يغطي رأسه ولا وجهه ميتًا .

قال : ((وَلَا تُحْمَرُوا رَأْسَهُ)) وَفِي رِوَايَةٍ: ((وَلَا تُحْمَرُوا وَجْهَهُ)) ؛ ويؤخذ من هذا الحديث أن المحرم الحي لا يجوز له أن يغطي رأسه ولا يجوز أن يغطي وجهه ، وأخذ من هذا الحديث من باب قياس الأولى ؛ إذا كان الميت لا يغطي وجهه ولا رأسه لأنه مات محرماً فالحي من باب أولى .

قال : ((فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبَّيًّا)) ؛ وهذا أخذ منه العلماء رحمهم الله تعالى فائدة وهي : أن من كان على عملٍ صالحٍ يُكتب له ويجري ثوابه في هذا العمل الصالح .

قوله ((فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبَّيًّا)) أخذ منه أهل العلم فائدة وهي أن العامل الذي مضى في عمل من أعمال العبادة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى واخترمته المنية وهو في هذا العمل يجري عليه ثوابه ، ولهذا هذا الذي وقصته ناقته فمات وهو محرم يُبعث يوم القيامة ملبياً .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم « مُلَبَّيًّا » هذا بشارة لهذا الميت ولكل من مات على هذه الحال بأنه يُبعث على هذه الحال التي مات عليها . ولهذا من النعم العظيمة أن يموت الإنسان على عمل صالح ؛ إما أن يموت ملبياً أو يموت ساجداً أو يموت صائماً أو نحو ذلك من الأعمال العظيمة المباركة الصالحة وهو من علامات حسن الختام .

قال المصنف رحمه الله تعالى : «الْوَقْصُ: كَسْرُ الْعُنُقِ»؛ يعني معنى وقصته ناقته أي سقط منها فانكسر عنقه فمات بذلك رضي الله عنه وأرضاه وعن الصحابة أجمعين .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه .